

تجاوز التحيز:

والآن . . كيف يمكننا تجاوز هذا الخلل والتحيز في المصطلح المنقول، المترجم أو المُعَرَّب؟

لعل القاعدة الأساسية لعلاج هذا الخلل هو ألا نترجم الدوال، وإنما ننظر إلى الظاهرة ذاتها، سواء في بلادنا أم في بلادهم . . ندرس المصطلح الغربي في سياقه الأصلي دراسة جيدة، ونعرف مدلولاته حق المعرفة، ثم نحاول توليد مصطلحات من داخل المعجم العربي . والمصطلح الذي نأتي به لن يكون ترجمة حرفية أو نقلاً حرفياً للدال الغربي، بل سنولّد أو نسكّ مصطلحاً (دالاً) يصف ما نراه نحن، ويُفسره من وجهة نظرنا، أي أنه دال يتناسب والمدلول الذي نُدرّكه نحن، متجاوزين بذلك تسميات الآخر، وادعاءاته وأوهامه، وحدود رؤيته، ومحاولته فرض دوال لا تتناسب ومدلولاتها . وهذا لا يعني بالضرورة انغلاقاً على الذات، وإنما يعني انفتاحاً حقيقياً على الآخر بدلاً من الخضوع له تماماً، أو رفضه تماماً . فالانفتاح الحقيقي هو عملية تفاعل مع الآخر . . نأخذ منه (ونعطيه) ونبدع من خلال معجمنا، فالإبداع من خلال معجم الآخر أمر مستحيل . وهذا ما فعله بالضبط الفلاحون الفلسطينيون حينما رأوا المستوطنين الصهاينة، فهم لم يُخدعوا بكلام هؤلاء «الرواد» عن أنفسهم، أو عن أحلامهم، فقد كانت لهم رؤيتهم ومنظورهم، فهم كانوا يعرفون تمام المعرفة أن أرضهم الفلسطينية مأهولة بأهلها، وهم كانوا يعرفون حق المعرفة أن لهم خبرة طويلة، تمتد آلاف السنين، في زراعتها وحصادها . كما أنهم كانوا يعرفون أنهم ينتمون إلى الأمة العربية الإسلامية ذات التقاليد الحضارية والدينية المركبة . ولذا فهم لم يسموا الرواد الصهاينة قط «رواداً»، بل سموهم «المسكوب»، نسبة إلى مسكفا أو مسكبا أي موسكو، وكانت الكلمة تعني عندهم الذين أتوا من روسيا، أي الأجانب أو الدخلاء، وهي تسمية للمستوطنين الصهاينة أكثر دقة وعلمية من المصطلح الصهيوني الذي نتداوله في الوقت الحاضر .